Yedi Aralık Sosyal Araştırmalar Dergisi (YASAD), 2(1)2023: 60-80
Araştırma makalesi | Research Article
Makale Geliş / Received: 01.05.2023
Makale Kabul / Accepted: 22.06.2023

بناء الشخصيات في قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

Kur'an-ı Kerim'de Hz.İbrahim Kıssasındaki Karakterlerin Yapısı

The Structure of the Characters in the Story of Prophet Ibrahim in the Qur'an

Mohamad ALAHMAD*

الملخص

يستخدم القرآن على عدة وسائل للدعوة إلى عبادة الله عز وجل، والقصة إحدى أهم هذه الوسائل التي يستخدمها القرآن لهذه الغاية. والقصد الرئيس من القصص القرآني هو تقديم أخبار الأمم السالفة؛ ليعلم المتلقي سعادة من أطاع الله، وشقاوة من عصاه. من هذا يمكننا القول: إنّ القصد من القصص القرآني ليس سرد القصص فحسب، بل ما تحمله هذه القصص والأخبار من مواعظ وعبر، ترشد الناس إلى اتباع سبل الفلاح، وتجنّبهم طرق الضلال.

وقصة النبي إبراهيم عليه السلام إحدى أهم القصص التي قدّمها القرآن الكريم لتحقيق هذه الغاية. وقد تناولت هذه القصة مراحل مهمّة في حياة إبراهيم عليه السلام، تضمّنت أهم المحن التي لقيها في حياته عليه السلام أثناء دعوته الناس إلى عبادة الله تعالى، وكيفية تعامله معهم خلال مواجهته هذه المحن.

يسعى هذا البحث إلى تقديم ملخص موجز عن هذه القصّة في القرآن الكريم، وتقديم مجمل الشخصيّات التي وردت فيها، ثم يتوقف عند أهم التقنيات السردية التي اتكأ عليها القرآن الكريم في بناء هذه الشخصيات، وأهم الأساليب اللغوية التي استخدمها في هذا البناء.

كلمات مفتاحية: قصة، بناء الشخصيات، إبراهيم عليه السلام، القرآن الكريم .

Öz

Kur'an-ı Kerim, Cenâb-ı Hakk'a ibadet için çeşitli vasıtalar kullanır. Kur'an'ın bu maksatla kullandığı bu vasıtaların en önemlilerinden biri de kıssadır. Kur'an kıssalarının asıl amacı, geçmiş ümmetlerin haberlerini aktarmak ve okuyan kişinin, Allah'a itaat edenlerin mutluluğunu ve ona isyan edenlerin bedbahtlığını bilmesini sağlamaktır. Bundan hareketle diyebiliriz ki: Kur'an kıssalarının maksadı, sadece kıssaları anlatmak değil, bu kıssaların nasihat ve ibret manasını taşıdıklarını, insanları muvaffakiyet yollarına sevk ettiklerini ve sapıklık yollarından sakınmalarını sağlamaktadır.

İbrahim (a.s) kıssası, Kur'an-ı Kerim'in bu amaca ulaşmak için sunduğu en önemli kıssalardan biridir. Bu kıssa, Hz. İbrahim'in (a.s) hayatındaki önemli aşamaları ve insanları Cenâb-ı Hakk için ibadete davet ederken hayatında karşılaştığı en önemli imtihanları ve bu esnada insanlara nasıl davrandığını göstermektedir.

Bu araştırma, Kur'an-ı Kerim'deki bu kıssanın kısa bir özetini vermeyi ve burada geçen karakterlerin bütününü ortaya koymayı amaçlamaktadır. Ardından Kur'an-ı Kerim'in bu karakterleri oluştururken dayandığı en önemli anlatım teknikleri ve bu inşada kullandığı en önemli dilsel yöntemler üzerinde durur.
Anahtar Kelimeler: Kıssa, Karakterlerin Yapısı, Hz.İbrahim (a.s), Kur'an-I Kerim.

Abstract

The Qur'an uses various means to worship Allah Almighty. One of the most important of these means used by the Qur'an for this purpose is the story. The main purpose of the stories of the Qur'an is to convey the news of the past ummahs and to let the reader know the happiness of those who obey Allah and the misery of those who rebel against him. From this point of view, we can say that the purpose of the stories of the Qur'an is not only to tell the stories, but also that these stories carry the meaning of advice and a lesson, that they lead people to the paths of success and that they avoid the paths of misguidance.

* Doç. Dr., Gümüşhane Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, mohamadalahmad@gumushane.edu.tr, Orcid Id: 0000-0002-3690-236X

The story of Ibrahim (a.s) is one of the most important stories that the Qur'an offers to achieve this goal. This parable, St. It shows the important stages of Abraham's (a.s) life and the most important tests he faced while inviting people to worship for the sake of Allah Almighty, and how he treated people during this time.

This research aims to give a brief summary of this story in the Qur'an and to reveal all the characters mentioned here. Then, it focuses on the most important narrative techniques that the Qur'an relies on while creating these characters and the most important linguistic methods used in this construction.
Keywords: Story, The construction of the characters, Ibrahim (a.s), Qur'an.

المقدمة

الميل إلى القصص هو ميل غريزي لدى كل البشر؛ والعرب كغيرهم من الأمم عرفوا فن القصّ منذ القدم، وقد كانوا يتداولون القصص فيما بينهم في العصر الجاهلي، وحين نزل القرآن وافق في أسلوبه القصصي في الدعوة القرآنية هذه النزعة التي جُبل عليها العرب من حب ورغبة في استماع القصص والأخبار، وصارت القصص تروى في المسجد في عصر الخلفاء الراشدين (مكي، 1999، ص: 23–32). وكان للقصة القرآنية أثر إيجابيّ في الأدب العربي –شعره ونثره– إذ استفاد الأدباء عامّة من شخصياتها وقصصها، وذلك منذ العصريين الأموي والعباسي الذي انفتح فيهما الأدباء على قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم، ووظفوها في كتاباتهم الأدبية (رشيد، 2023، ص:164). واستفادوا أيضًا في تطوّر الفنّ القصصي من قصص الأمم غير العربية الداخلة في الإسلام (خورشيد، 1982، ص: 77–84). وما زال الفن القصصي يتطوّر لدى العرب إلى يومنا هذا، بسبب التطوّر الطبيعي لهذا الفنّ من جهة، والاطلاع عليه لدى الأمم الأخرى من جهة أخرى، ولا سيّما الأمم الأوربيّة التي أثّرت على نحو كبير في تطوّر هذا الفنّ عند العرب في العصر الحديث. وصار لهذا الفنّ في الأدب العربي أنواع متعدّدة، وصار له أيضًا دراسات متنوعة، منها ما يتصل بالشكل، ومنها ما يتصل بالمضمون، ومنها ما يتصل بالاتجاه الفكري أو المذهب الفني، وغيرها.

والقصة فى القرآن الكريم هي وسيلة من وسائله الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل في الدعوة إلى التوحيد؛ فالقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها. ورغم خضوع القصة القرآنية فى موضوعها لمقتضى الأغراض الدينية، فإنّ ثمّة خصائص فنيّة برزت في عرضها ولا سيما خصيصة القرآن الكبرى فى التعبير وهي: التصوير. والتعبير الفني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني فيما يعرضه من الصور والمشاهد، ويجعل الجمال الفني أداة مقصورة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية (قطب، 2002، ص: 143).

وقصص القرآن قصص تاريخي في إطار أدبيّ، يأخذ القرآن مواد القصص فيه من أحداث التاريخ ووقائعه، ويعرضها بلغة أدبيّة سامية يبيّن فيها المعاني، ويركّز على الأحداث التي تستتهدف قلب المتلقي وعاطفته ووجدانه. ويمكننا القول: إنّ قصص القرآن هي أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة. وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه" (القطان، 2000، ص: 316–317).

ولا بدّ من القول: "القصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن؛ فما جاء فيها من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة كله من الواقع (الخطيب، 1975، ص: 39)، و"ليس قصص القرآن إلا الحقائق التاريخية تُصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة، والأساليب الرائعة". (القطان، 2000، ص: 320)

وثمّة أنواع ثلاثة لقصص القرآن الكريم: النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمنت دعواتهم أقوامهم إلى التوحيد، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، ولا سيما

قصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام. والنوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوّتهم، ولا سيما قصة طالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، ومريم، وأصحاب الفيل ونحوهم. والنوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولا سيما غزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك (القطان، 2000، ص: 317).

ويُعنى القرآن الكريم خلال تقديم قصصه إلى المتلقي باستخدام عناصر الفن القصصي من شخصيات وزمان ومكان وأحداث وحوار وغيرها. ويبدو من خلال هذه القصص عامّة أنّ الركيزة الأساسية هي الشخصيات؛ فهدف القصص القرآنية إيصال أخبار شخصيات إنسانية من الأمم السابقة ووضعها أمام المتلقي ليوازن بين الإيجابيات والسلبيات، فيتجنب ما وقع به أصحاب هذه القصص من أخطاء، ويقتدي بما صدر عنهم من أفعال وأقوال يؤيّدها القرآن الكريم.

وعلى الرغم من احتلال عنصر الشخصية مكان الصدارة في قصص القرآن فإن هذا لا يعني أنّ القرآن لم يهتمّ بغيره من عناصر القص الأخرى؛ بل إننا نجد هذه العناصر في كل قصة قرآنية مبنيّة بطريقة يجعل لكل عنصر منها قيمته العظيمة وخطره في القصة بحيث لو اختفى لاختلّ التوازن الفني في البناء القصصي.

1. الشخصية في الفن القصصي

تشغل الشخصيّة مكونًا مركزيًّا في بناء العالم القصصي؛ فهي التي تقود الأحداث، وتنظّم الأفعال، وتعطي القصّة بعدها الحكائي. و تُعدّ الشخصية العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر القصصيّة الأخرى، بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب القصصي واطّراده (بحرواي، 1990، ص: 20).

والشخصية في العمل القصصي "مدار المعاني الإنسانية، ومحور الأفكار والآراء العامة" (هلال، 1987، ص: 562). والعمل القصصي أساسًا يُعنى بتصوير المجتمع الإنساني الذي يشكل الشخص العمود الفقري فيه، والقوة الواعية التي يدور في فلكها كل شيء في الوجود.

إنّ هذا الموقع المهم الذي حازته الشخصية في العمل القصصي يمكّننا من تعريف العمل القصصي بأنه "قصة لقاء الشخصيات بعضها مع بعضها، وإخبار بالعلاقات التي تنشأ بينها" (بحرواي، 1990، ص: 269).

وللشخصيات في البناء القصصي أنواع متعددة بالنظر إلى الوظيفة التي تؤديها في هذا البناء، ويمكننا تصنيفها "بناء على الدور الذي تقوم به في الفن القصصي إلى: "شخصية رئيسية" تتحرك منذ بداية الأحداث لتحقيق هدف معين، وقد تنجح أو تخفق في تحقيق هذا الهدف، و"شخصية ثانوية" مكتفية بوظيفة مرحلية، و"شخصية هامشية" مكملة تكون ذات دور صغير جداً تقتضيه طبيعة تطوير الأحداث (الأحمد، 2021، ص: 16).

إنّ دور الشخصيّات الرئيسيّة أكبر من دور الشخصيات الثانوية والهامشية، لكنّ هذا لا يعني أنّ صغر دور الشخصيات في العمل القصصي يقلّل من أهميتها، فالكاتب الجيد "هو الذي يجعل عنايته بالشخصية الهامشية والثانوية في عمله القصصي مماثلة لعنايته بالشخصية الأساسية، بحيث تؤدي هذه الشخصيات وظيفة لا تستقيم القصة من دونها" (الفيصل، 1995، ص: 110). ويمكننا القول: إن للشخصيّة بمختلف أصنافها لها "دورها المحوري في تنامي الأحداث وتطوُّرها بما يغني حركة السرد، ويسهم في بلورة الرؤية السردية" (الشبلي، 2019، ص: 143).

وثمّة وظيفتان رئيسيّتان للشخصيّات الثانوية والهامشية في العمل القصصي، الأولى: تسهيل مهمة الشخصية الرئيسية، وتسمى (الشخصيات المساعدة)، والثانية إعاقة وصول الشخصية الرئيسية إلى هدفها بحسن نية أو بسابق تخطيط

(حطيني، 1999، ص: 46)، ويُطلق عليها حينئذ (الشخصيات المعيقة). ورغم أن وظيفة كلّ من الشخصيات المساعدة والمعيقة أقل من وظيفة الشخصية الرئيسية، لكنها تقوم بأدوار مصيرية أحيانًا في حياة الشخصية الرئيسية" (شريبط، 1998، ص: 33).

إنّ لكلّ شخصية في العمل القصصي الناجح أهمية كبيرة، ولكلّ منها شبكة علاقات تكوّنها في الفن القصصي مع الشخصيات الأخرى، ولهذه العلاقات أهمية كبيرة في توجيه العمل القصصي نحو وجهة معينة. وقد توقف بعض الدارسين، ومنهم "غريماس"، لبيان مفهوم الفاعلية في السرد القصصي، والفاعلية ليست مقتصرة على الشخصيات الرئيسية، بل على شخصيات القصة جميعًا، والقصة المتماسكة هي التي لا يجد القارئ فيها شخصية من دون فاعلية، فيجب أن تكون لكل شخصية وظيفتها داخل العمل القصصي (الموسى، 2006، ص: 84). إذ يسعى كلّ عمل أدبيّ من خلال العلاقات المتنوّعة الّتي تقوم بها الشّخصيّات بأنواعها إلى إيصال فكرة ذات أهميّة كبيرة تتعلّق بالقضايا التي يتناولها هذا العمل، والتي تهدف إلى إقرار فكرة يتبنّاها الكاتب أو نبذ ما يخالفها (تركي، 2020، ص: 307).

وبناء الشخصيات القصص القرآني في السرد لا يختلف كثيرًا عن بنائها في غيره من فنون السرد الأخرى المعروفة، ولا سيّما الرواية والقصة والأقصوصة والسيرة وغيرها؛ فللشخصيات في قصص القرآن صفات انفعالية، وجسمية، وبعضها لها أسماء، وبعضها لا يحمل أسماء. وهذا أيضا نجده في الأعمال السردية التي يبدعها الأدباء. لكن الأدباء كما هو معروف يبنون الشخصيات في أعمالهم الأدبية من وحي خيالهم، وهنا وبالنظر إلى هذه الناحية لا بدّ أن نبيّن أن ثمة فرقًا بين بناء الشخصيات في قصص القرآن الكريم وبين بنائها في السرد الروائي؛ فبينما هي في قصص القرآن شخصيات واقعية عاشت حقيقة في الحياة، فإنّها في الفن السردي هي محض خيال يبدعه المؤلف لغاية فنيّة محددة.

2. ملخص قصة إبراهيم في القرآن

تأتي قصة إبراهيم عليه السلام في المرتبة الثانية بعد قصة موسى عليه السلام من حيث الطول في القرآن الكريم، فقد أخذت مساحة واسعة تزيد على جزء من القرآن. وقد أتت أحداثها في آيات متفرقة من القرآن الكريم، وبدأت أحداثها بالنزول في مرحلة مبكرة من تاريخ الإسلام في مكّة المكرّمة، واستمر نزولها حتى أواخر المرحلة المدنية؛ فقد تكرّر ذكر إبراهيم في القرآن الكريم 69 مرة في 25 سورة مكيّة ومدنيّة، وتوزّعت مشاهد قصته في ثنايا القرآن الكريم على مدى 17 جزءًا. وهذا دليل على أهمية هذه القصة في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم.

وتعدّ هذه القصة في علم السرد سردًا قصصيًّا؛ حيث اتسمت بالخصائص الفنية التي يُعرف بها علم السرد. فالسرد يعني تحويل الصورة الواقعية إلى صورة لغوية تتسم بالخصائص الفنية، ويتضمن حكي الأحداث، وحكي الأقوال؛ وينطوي الأول على نقل الراوي – بأسلوب يختاره بنفسه– للأحداث التي تجري مع الشخصيات، ووصف الشخصيات والأمكنة والأزمنة وغيرها، وحكي الأقوال، الذي يعيد فيه الراوي أقوال الشخصيات، وهنا يمكن للراوي أن يعيد كلام الشخصيات بحرفيته، أو بأسلوبه الخاص (الأحمد، 2019، ص: 156).

تدور أحداث قصة إبراهيم عليه السلام حول شخصية النبي إبراهيم عليه السلام، ويخبرنا القرآن الكريم أن قومه كانوا يعبدون الأصنام، وكان أبوه آزر ممّن يصنعونها، فبدأ إبراهيم بدعوة أبيه إلى ترك عبادة الأصنام، وتذكيره بأنّها لا تضرّ، ولا تنفع. ثم راقب الكون ليستدلّ على الإله الذي يستحق العبادة، وتوصّل بعد مراقبة بزوغ الكواكب وأفولها والمقارنة بين أحجامها إلى أنّ المعبود الحق والإله الذي يستحقّ العبادة هو الذي خلق الكون كله بما فيه من كواكب ومخلوقات.

وجاء في القرآن الكريم أن الله عز وجلّ اختبر إبراهيم عليه السلام فنجح في الاختبار، وكلّفه بدعوة النّاس إلى عبادته عزّ وجلّ: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" (البقرة124).

بعد تكليفه بالدعوة بدأ يدعو أباه إلى ترك عبادة الأصنام، وبيّن له أنّه يملك من العلم ما لا يمكله هو، ودعاه إلى اتّباعه ليعلّمه الطريق الصحيح السليم في العبادة. وحذّره من الاستمرار في ضلاله، وأنّه لو بقي على هذا الحال في العبادة فسيلقى عذاب الله عزّ وجلّ. وكان إبراهيم يدعو والده باللين، والرّفق، ولا يخاطبُه إلّا بقوله: "يا أبتِ"، إلّا أنّ أباه كان يُصّر على استمراره في عبادة الأصنام، ويطلب من إبراهيم أن يهجره، ويتركه لشأنه.

ودعا إبراهيم –عليه السلام– قومه كذلك إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام، فلمّا رأى منهم صدوداً أقسم لهم أنّه سيكيد أصنامهم، فلّما خرجوا من القرية أخذ يُكسّر الأصنام كلّها إلّا كبيرها، فلمّا عاد القوم إلى قريتهم، ورأوا أنّ أصنامهم قد تحطّمت، سألوا عمّن فعل ذلك، فأخبرهم ساخرًا منهم أنّ كبيرَها هو من حطّمها. وقد استطاع إبراهيم عليه السلام أن يعيدهم إلى رشدهم، ويريهم سخافة تفكيرهم في عبادتهم للاصنام، الأمر الذي دفعهم إلى الاعتراف فيما بينهم بهذا، غير أنّهم سرعان ما عادوا عن رشدهم؛ ليستمرّوا في ضلالهم، ووقرّروا أن يكيدوا لإبراهيم بسبب تحطيمه الأصنام بأن يُلقوه في النار، لكنّ الله حفظه من نارهم، وجعلها بردًا وسلامًا عليه.

ومن الذين دعاهم إبراهيم إلى عبادة الله (النمرود)، وهو أحد ملوك ذلك الزمان، وكان يدّعي الربوبية. وقد صور القرآن المناظرة التي جرت بينهما، والتي جاء فيها أن إبراهيم عليه السلام أخبر النمرود أن الله يحيي ويميت، فأجابه النمرود بأنّه أيضًا يستطيع يحيي ويميت؛ فهو لأنّه حاكم يستطيع إنفاذ أوامره في قومه بالحياة والموت. فقال له إبراهيم عليه السّلام إنّ الله يأتي بالشمس من المشرق، فإنّ كنت إلهًا فأتِ بها من المغرب، فبهت النمرود وعجز عن الردّ.

وجاء في القصّة أن إبراهيم عليه السلام تعرّض لامتحان إلهيّ عظيم؛ ففي ليلة رأى إبراهيم في منامه أنه يحمل سكينًا ويذبح ابنه إسماعيل، ورؤيا الأنبياء حقٌّ لا بدَّ من تنفيذه. ولمّا أخبر ابنه إسماعيل بمنامه: "قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى" (الصافات 102)، أجابه إسماعيل البار بأبيه النبي ابن النبي الموحد لله فقال: "يا أبت افعل ما تؤمر به" (الصافات 102)، وسأصبر على ذلك إن شاء الله. فلمَّا تُرجمت تلك الأقوال إلى أفعال، وسلّم إبراهيم وإسماعيل أمرهما إلى الله، واستعد إبراهيم لذبح ابنه، ووضع السكين على رقبته، جاء مناد من السماء، فأعطاه كبشًا ليذبحه بدل ابنه (الصافات103–107). وبذلك فدى الله –تعالى– إسماعيل –عليه السلام– بكبش من الجنة.

وتضمّنت القصّة دعوة إبراهيم عليه السلام ربّه جلّ وعلا أن يجعل مكة المكرمة مدينة آمنة، وأن يرزق أهلها، فأمره الله ببناء البيت الحرام في مكة، فعمل على بنائها مع ابنه إسماعيل، وقد سألا الله بعد إتمام بنائها أن يتقبلَ منهما هذا العمل، وأن يجعلهما مسلمينِ له، وأن يجعل ذريّتهما أمّة مسلمة له تبارك وتعالى. وأمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يدعو النّاس إلى الحج إلى الكعبة الشريفة، وبهذا أصحبت مكة مقصد الحجاج، ورزق الله أهلها، وذلك في قوله تعالى: "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ *وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ *ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ" (الحج 26–29).

ومما جاء في قصة إبراهيم في القرآن أن الملائكة جاءت إلى إبراهيم لتبشرّه بابنه إسحق من جهة، وتخبره بهلاك قوم لوط من جهة ثانية. وقد جاؤوا على هيئة رجال، فعمد إبراهيم عليه السلام إلى إكرامهم، فذبح لهم عجلًا سمينًا، وشواه،

وقرّبه إليهم، فلما رآهم لا يأكلون فزع منهم، وأوجس منهم خيفة، فطلبوا منه ألا يخاف منهم، وأخبروه بأنهم رسل من الله عزّ وجلّ إلى قوم لوط لإهلاكهم، وبشّروه وزوجته بابنه إسحق بعد بلوغهما سنّ الشيخوخة. وقد أراد إبراهيم عليه السلام ألا يحلّ الهلاك بقوم لوط، لكن الملائكة طلبوا منه ألا يحاول ثنيهم عمّا جاؤوا من أجله؛ فإنّ عذاب قوم لوط آتٍ لا محالة، وهو أمر من الله عز وجلّ.

3. أنواع الشخصيات في قصة إبراهيم عليه السلام

تشارك شخصيات العمل القصصي بمختلف أنواعها؛ الرئيسية والثانوية والهامشيّة مجتمعة في نمو الأحداث القصصية، وبلورة معانيها والإسهام في تصوير هذه الأحداث، وتقديمها للمتلقيّ. وغالبًا ما تقتصر القصّة على شخصيّة رئيسيّة وحيدة تؤدّي دور البطولة فيها.

وثمّة تصنيف خاصّ لشخصية البطل في القصّة عامّة؛ فالبطل قد يكون إيجابيًّا يسعى إلى التغير نحو الأفضل فينجح أحيانًا في تحقيق أهدافه، ويصل إلى مبتغاه في القصّة، وقد يفشل بسبب ظروف قاهرة تقف في طريقه، فيعجز عن بلوغ هدفه.

وفيما يخص الشخصيات في قصة إبراهيم عليه السّلام فإنها بلغت عشر شخصيّات، هي: (إبراهيم) عليه السلام و(أبوه) و(قومه) وابناه (إسماعيل) و(إسحق) عليهما السلام و(الملائكة) و(الذي حاجّ إبراهيم في ربّه) و(لوط) عليه السلام و(زوجته) و(قومه).

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ "الشخصيات في قصص القرآن الكريم ليست من عالم الخيال، كما هو حال معظم الشخصيات في قصص وروايات المبدعين، بل حقيقية واقعية، بأسمائها وصفاتها وزمانها ومكانها وظروفها الحياتية، لا شبهة في ذلك ولا مرية، وهو أمر أكّده القرآن الكريم في غير موضع، يقول الله تعالى: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ" (الكهف13)، ويقول جلّ وعلا: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى" (يوسف111)". (الأحمد، البنية الفنية في قصة يوسف عليه السلام،).

وقد تضمنت قصة إبراهيم عليه السلام الأنواع الثلاثة التي ذكرناها؛ الشخصيّة الرئيسية التي قامت بدور البطولة في هذه القصة، وقام بهذا الدور إبراهيم عليه السلام، والشخصيّات الثانوية، وانقسمت هذه إلى قسمين: شخصيات مساعدة، مثلها: (إسماعيل) عليه السلام و(زوجة إبراهيم) عليه السلام و(الملائكة). وشخصيات معيقة، مثّلها: والد إبراهيم (آزر) و(الذي حاجّ إبراهيم في ربّه (النمرود) و(قوم إبراهيم). والشخصيات الهامشية، وهذه اقتصر القرآن على ذكرها فحسب، وجاء بعضها متوافقًا مع فكر شخصية البطل (إبراهيم) عليه السلام، وهي: (إسحق) و(لوط) عليهما السلام، وأخرى شخصيات معادية لشخصيته، وهي: (قوم لوط) و(زوجة لوط).

1.3. شخصية البطل

فيما يخص شخصية البطل (إبراهيم عليه السلام) فقد ورد 69 مرة، وقد بدا في القصّة داعيًا إلى عبادة الله، وناهيًا عن عبادة غيره من الأصنام والكواكب. وبدا أيضًا ذكيًّا شجاعًا لبقًا في التعامل مع الآخرين، وملخصًا في وظيفته التي كلّفه الله بها؛ وهي دعوة النّاس إلى الإيمان بالله وحده، وترك عبادة الأصنام، ومنقادًا إلى أوامر الله على نحو تام، وتجلّى هذا قي مواقفه كلّها.

ظهر إبراهيم –عليه السلام– في القصّة طائعًا لأوامر الله عزّ وجلّ، ممتثلًا لأوامره، ولهذا جعله الله جلّ وعلا إمامًا للناس؛ أي قدوة لهم. وهذا ما نجده في قوله تعالى: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" (البقرة124).

وقد برزت منزلة الصفوة التي حباه الله بها في غير آية كريمة في القرآن، ومنها في قوله تعالى: "وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" (البقرة130)، وقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ" (آل عمران33).

لقد أكّد الله صحّة الطريق الذي اتّبعه إبراهيم في حياة في غير موضع في القرآن، وأمر النّاس أن يهتدوا بهذا النهج، ومنها ما جاء في قوله تعالى: "وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (البقرة135)، وفي قوله تعالى: "وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" (النساء125). وقوله تعالى: "﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران95).

ويبدو إيمانه المطلق بقدرة الله عز وجل في قوله: "رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ" (إبراهيم38). وبدا حرصه على عبادة الله في قوله تعالى: "رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ *رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ" (40–41).

وبرز حرصه الشديد على إيمانه بالله تعالى وطاعة أوامره في حادثة الرؤيا؛ فحين تأكّد أنّ الرؤيا صادقة، عمد على تنفيذ ما أمره الله به في ذبح ابنه، بيد أن الله جلّ وعلا فدى إسماعيل عليه السلام بكبش أرسله إليه من السماء ليذبحه مكانه (الصافات102–113).

ولتأكيد سلامة الطريق الذي اتّبعه إبراهيم عليه السلام، وعظم الإيمان الذي ملأ قلبه جاء القرآن بعدّة آيات تنفي صفة الشرك عنه عليه السلام، ومنها قوله تعالى: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران67)، وقوله تعالى: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" (الممتحنة4)، وقوله تعالى: "إِنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً قانِتًا لِلَّهِ حَنيفًا وَلَم يَكُ مِنَ المُشرِكينَ*شاكِرًا لِأَنعُمِهِ اجتَباهُ وَهَداهُ إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ". (النحل120–121). إنّ عظم الإيمان الذي ملأ قلب إبراهيم عبّر عنه قوله عزّ وجلّ: "إن إبراهيم كان أمةً"؛ أي: قائماً مقام جماعةٍ في عبادة الله تعالى.

وحاز إبراهيم –عليه السلام– صفات الذكاء والفطنة وحسن التفكير التي جعلت منه داعيًا ممتازًا إلى عبادة الله، مُتسلّحًا بقدرات عظيمة في فنّ الحوار مع الآخر، مكّنته من إفحام خصومه والتفوّق عليهم. وهذا ما نجده في قوله تعالى: "وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ *وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ" (الأنعام80–83). وفي قوله تعالى: "وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ *إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ *فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ *فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ *فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ *فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ *فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ *فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ *فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ *قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ *وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ" (الصافات83–96). لقد فأخبر قومه أنه

مريض حتى يخلو بآلهتم، وحين غادر القوم وتركوه وحيدًا عمل على تحطيم الأصنام إلا كبيرهم ليثبت لهم بالبرهان القاطع سفاهة فكرهم في عبادتهم لهذه الأصنام التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها، وتعجز عن الكلام. يريد أن يقول: إن هذه الأصنام لا تنفع نفسها، فكيف ستنفع من يعمل على عبادتها. لقد استطاع إبراهيم أن يبيّن سفاهة تفكير قومه، ورغم اعترافهم بخطئهم في البداية، غير أنّهم سرعان ما تراجعوا عن الاعتراف بهذا الخطأ، وعمدوا إلى معاقبة إبراهيم عقابًا شديدًا، وذلك بحرقه وهو حيّ. لكنّ الله عز وجل حفظه منهم، ومما خططوه له، بأنْ حوّل النّار التي أرادوا إحراقه بها إلى برد وسلام. وحسن التكفير وقوّة الحوار تبدو على أشدها في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ". (البقرة258).

إنّ حبّ إبراهيم –عليه السلام– للنّاس، وحرصه على مصالحهم هو الذي دفعه إلى الإلحاح في دعوتهم، وتقديم البراهين التي تثبت ضلالهم، وهو الذي دفعه أيضًا إلى محاولة ثني الملائكة عن إهلاك قوم لوط –عليه السّلام– وعدم إيذائهم: "فَلَمّا ذَهَبَ عَن إبراهيمَ الرَّوعُ وَجاءَتهُ البُشرى يُجادِلُنا في قَومِ لوطٍ". (هود74).

وتبدّى هذا الحبّ الذي ملأ قلبه –عليه السلام– أمام أسرته، فظهر إبراهيم بوصفه مثالًا للأب الحنون العطوف على أسرته، الساعي إلى توفير الأمن والسلام والرزق لهذه العائلة، وذلك في قوله تعالى: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" (إبراهيم37). وظهر أيضًا بوصفه ابنًا بارًّا بوالده من خلال حرصه على دعوت أبيه إلى عبادة الله تعالى، وذلك في سورة (مريم41–45) التي نادى فيها أباه بأرق العبارات التي يُنادى فيها الآباء، وهي عبارة "يا أبتِ" التي كرّرها أربع مرّات خلال دعوته له، لكنّها لم تصل إلى قلب أبيه الذي امتلأ بالكفر والضلال.

2.3. شخصيات مساعدة

تتحقق معرفة الشخصية بدراسة الأحداث التي وقعت عليها، أو شاركت بها. أو قامت بها؛ فالحدث الذي تقوم به الشخصية يُنبينا عن طبيعتها وفكرها إذا عرفنا كيفية وقوعه وبيئته وسببه (رشدي، 1964، ص: 29–30). ومن هنا نجد أنفسنا في قصّة إبراهيم عليه السلام أمام نوعين من الشخصيّات، مساعدة، ومعيقة.

ويقصد بالشخصيّات المساعدة في قصة إبراهيم عليه السلام تلك الشخصيات التي وقفت إلى جانبه في تحقيق أهدافه التي سعى إليها في الدعوة إلى عبادة الله عزّ وجلّ، ويأتي في مقدّمة هذه الشخصيات ابنه إسماعيل الذي وقف إلى جانبه في كل المواقف التي ظهر فيها في القصة، بدءًا من إسكانه وأمّه في وادٍ غير ذي زرع وذلك في قوله تعالى: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ..." (إبراهيم37)، وقد حافظ إسماعيل على البقاء في هذا المكان رغم فقره بالنبات وصعوبة العيش فيه كما أشارت الآية، ثم حادثة رؤيا إبراهيم –عليه السلام– التي تجلّت فيها التضحية وبرّ الوالد وطاعة الله عزّ وجلّ في أوجها؛ فلم يعترض إسماعيل على ذبح والده له، بل حثّه على تنفيذ الأمر الإلهي. وقد جاءت هذه الحادثة في قوله تعالى: "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ *وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ *قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ *وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ *وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ *سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ *كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ *إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ" (الصافات102–111).

وحين أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم –عليه السلام– ببناء البيت الحرام كان إسماعيل عونًا لأبيه في هذا العمل العظيم، فجعل إبراهيم –عليه السلام– يبني البيت وإسماعيل يساعده: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (البقرة127). وكان عونا لأبيه أيضًا في تنفيذ أوامر الله في جعل البيت الحرام مكانًا لعبادة الله وحده، وذلك في قوله تعالى: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " (البقرة125).

وبيّنت القصّة أن إسماعيل عليه السلام استمر في اتّباع خطا أبيه إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله عزّ وجلّ: "قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" البقرة136).

وتعدّ زوجة إبراهيم –عليه السلام– من الشخصيات المساعدة، فظهرت إلى جانب زوجها حتى زمن شيخوختها، وبدت أنّها مؤمنة بالرسالة التي أنزلها الله على إبراهيم عليه السلام، ولهذا كافأها الله في آخر حياتها بمولود، وورد هذا في قوله تعالى: "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ" (هود71–73). وفي قوله تعالى أيضًا: "فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ" (الذاريات29–30).

وثمّة شخصية الملائكة في قصة إبراهيم عليه السلام التي كشفت للمتلقي عن بعض صفاتهم ووظائفهم، وذلك في مشهد ضيوف إبراهيم –عليه السلام– عندما أتى رسل الله يبشّرونه بالغلام العليم "إسحاق"، ومن ورائه "يعقوب". وقد أثبتت القصة أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون وعندهم القدرة على التشكّل بصورة إنسان، وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وغير ذلك من الصفات: "وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ *فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ *وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ *إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ". (هود72–76). وقد ذكرت شخصية الملائكة بالإضافة إلى الآيات السابقة في سورة الحجر (الآيات 51–60)، وسورة العنكبوت (31–32)، وسورة الذاريات (الآيات 24–34).

وثمّة شخصيات من نوع الهامشية تنتمي إلى الشخصيات المساعدة في قصة إبراهيم عليه السلام، وقد اكتفى القرآن الكريم بذكرها فحسب، ولا سيّما شخصيّتا إسحق ولوط. وأورد القرآن شخصية إسحاق في هذه القصة في غير آية، ومنها ما جاء في قوله تعالى: "وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ..." (الأنعام84)، وفي قوله تعالى: "وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ *وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ" (الصافات112–113)، وفي قوله تعالى: "فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا" (مريم49). وأورد القرآن شخصية لوط في قوله تعالى: "فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (العنكبوت 26)، وفي قوله تعالى "وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ *فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ" (هود69–70)، وفي قوله تعالى: "فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ" (هود74).

3.3. شخصيات معيقة

يأتي في مقدّمة هذا النوع من الشخصيات في قصة إبراهيم –عليه السلام– أبوه آزر الذي كان يعبد الأصنام، فبدأ إبراهيم بدعوته إلى عبادة الله وحدة وترك عبادة الأصنام، لكنّ أباه طلب منه أن يتركه وشأنه ويبتعد عنه، فطمأن إبراهيم أباه بأنّه لن يناله مكروه منه وبأنّه سيدعو الله له بالهداية، وقد جاء هذا في قوله تعالى: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا *يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا *يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا *قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا *وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا" (مريم41–49)

لكنّ آزر بقي على إصراره على الكفر، لهذا تبرّأ منه إبراهيم: "وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ" (التوبة114). "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ *إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ *وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" (الزخرف26–28).

والشخصية الثانية المعيقة هي (قوم إبراهيم) الذين كانوا يعبدون الأصنام كأبيه، وقد أظهرت الآيات كفرهم وعبادتهم للأصنام وعدم استجابتهم لدعوة إبراهيم عليه السلام، وعمدهم إلى التخلص منه في حادثة الحرق المشهورة: "وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ *إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ *قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ *قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ *وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ *فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ *قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ *قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ *قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ *قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ *قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ *فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ *ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ *قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ *أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ *قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ *وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء51–70).

لقد عمد قومه على التخلّص منه بطريقة قاسية لا رحمة فيها نتيجة اشتداد كراهيتهم له بعد تحطيمه أصنامهم، وخططوا لحرقه، ونفذوا ما خططوا له، لكنّ الله عزّ وجلّ حفظه من مخططهم، وأنقذه من نارهم.

والشخصية الثالثة المعيقة لدعوة إبراهيم هو النمرود الذي لم يصرح القرآن بذكر اسمه، وأورده بـ (الذي حاج إبراهيم في ربّه)، وبدا في القصة أنّه لم يستجب لدعوة إبراهيم عليه السلام، بل حاول إبراز جبروته وقوّته، وادّعى قدرته على الإحياء والإماتة، وذلك في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"(البقرة258).

يبدو من قوله تعالى "أن أتاه الملك" أنّه كان جبّارًا في الأرض وصاحب ملك يستطيع به أن يأمر وينهى ويتجبّر ويحكم بالموت على من يريد ويبقي على قيد الحياة من النّاس من أراد، ولهذا قال: "أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ". فهو يدّعي أنّه يملك صفات الربّ التي ذكرها إبراهيم –عليه السّلام– في القدرة الإحياء والإماتة. لقد اعتاد قلبه على الضلال، وبدا أنّه يستمرّ في العناد والمكابرة في حواره مع إبراهيم عليه السلام، ولهذا كان لا بدّ لإبراهيم –عليه السلام– من إفحامه وإسكاته، فقال

له: "فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ". وهذا تحدٍّ صريح من إبراهيم للنمرود، فبُهت النمرود من قول إبراهيم عليه السلام، ولكنَّه لم يؤمن فهو اعتاد على أن يتجبّر في الأرض من دون أن يردعه أحد.

وثمّة شخصيّات معيقة تنتمي إلى نوع الشخصيّات الهامشيّة، وهم (قوم لوط) و(زوجته) الذين خالفوا دعوة لوط عليه السلام، وهذه الدعوة في الأصل هي دعوة إبراهيم، لأنّ لوط آمن بإبراهيم ودعوته، ثم بدأ يدعو قومه إلى عبادة الله وترك فعل المنكرات، لكنّهم أصروا على استمرارهم في فعل المنكرات، فأرسل الله عزّ وجلّ الملائكة لإهلاكهم، وقد جاء هذا في قوله تعالى: "وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ *قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ" (العنكبوت31-32). وفي قوله تعالى: "وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ *قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ" (العنكبوت31-32).

4. أساليب بناء الشخصيات

ثمة طريقتان لبناء الشخصيات في القصة: الطريقة التحليلية التي تعني أن يراقب الكاتب الشخصية من الخارج، ويرسمها من الخارج أيضًا، ويدرس أفكارها وتطوّرها وبواعث هذا التطوّر، ويفسّر بعض تصرّفاتها، ويعطي رأيه في أفعالها، وردود أفعالها، ومواقفها على نحو صريح ومباشر، والطريقة التمثيلية التي يدع الروائي الشخصية تعبّر عن نفسها بنفسها، وبوساطة غيرها من شخصيات القصة، ويتجنب التعليق عليها (الصالح، 2001، ص: 173). ولتحديد هوية الشخصية في القصة يمكن الاعتماد على "مصادر إخبارية ثلاثة: ما يخبر به الراوي، وما تخبر به الشخصيات ذاتها، وما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات" (لحمداني، 1991، ص: 51). "ويعد الوصف، والإخبار، والحوار، الطرق الرئيسة في بناء الشخصيات في القصة. (ينظر الأحمد، 2021، 83).

ونسطيع القول: ثمة أبعاد ثلاثة للشخصية في القصة، هي: البعد الجسمي الذي يهتم فيه المؤلف برسم صفات الشخصية الجسمية، والبعد الاجتماعي الذي يهتم فيه بتصوير المركز الاجتماعي للشخصية وثقافتها وميولها والوسط الاجتماعي الذي تتحرك فيه، والبعد النفسي الذي يصوّر من خلاله مشاعر الشخصية وعواطفها وطبائعها وسلوكها ومواقفها من القضايا المحيطة بها.

وفيما يخصّ وظيفة التعبير في القصّة فيتم الاعتماد على ثلاثة عناصر، هي: السرد والوصف والحوار. ورغم تداخل هذه العناصر فيما بينها فإننا نستطيع أن نعرّف الوصف بأنه تصوير المشاهد والشخصيات أو التعبير عن المواقف والانفعالات الداخلية والمشاعر على نحو مباشر من قبل الراوي. ونستطيع تعريف الحوار بأنّه كلام الشخصيات مع نفسها (الحوار الداخلي) أو كلامها مع الشخصيات الأخرى (الحوار الخارجي). أمّا السرد القصصي فثمة معنيان له: الأوّل: نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية (إسماعيل، 1976، ص: 187). وهذا يعني أنّ القصة برمتها تعدّ سردًا، والمعنى الثاني: كل الكلام الذي في القصة ما عدا الحوار. ومن هنا يمكننا وضعه في مقابل الحوار في القصة، فتقديم الأحداث من الراوي يسمّى سردًا، وحين يفسح الراوي للشخصيّات بأن تقدّم نفسها نكون أمام الحوار.

ويُعدّ الحوار الخارجي، الذي تتبادل شخصيات القصة من خلاله الكلام فيما بينها، الأقدم والأكثر شيوعًا في العمل القصصي، وتتجلّى وظيفته في الكشف عن الملامح الفكرية للشخصيات، وتحديد مواقفها من أحداث القصة، ومن القضايا التي تطرحها أحداث القصة. أمّا الحوار الداخلي، الذي يجري داخل الشخصية، فيُستخدم "للكشف عن جوهر

الشخصية وحقيقتها، وما يعتلج في داخلها من أفكار ومشاعر" (عبد السلام، 1999، ص: 109)، ممّا يسمح للقارئ بالدخول إلى باطن الشخصية. (الأحمد، 2016، 242).

وبالنظر إلى بناء الشخصيّات في قصّة إبراهيم عليه السلام في القرآن فيظهر لنا أنّه تمّ التركيز على الصفات المعنوية في هذه الشخصيات، وقلّما يجد المتلقي كلامًا عن صفاتها الجسديّة. وقد لقيت شخصية إبراهيم جلّ الاهتمام في بنائها بوصفها الشخصية المحورية في القصة.

وأخذ الحوار الخارجي دورًا بارزًا في بناء الشخصيات، وبرزت حوارات متعددة من هذا النوع، منها بين الله –عزّ وجلّ– وبين نبيّه إبراهيم –عليه السلام–، ومنها بين إبراهيم –عليه السلام– وغيره من شخصيّات القصّة. ومن حوار الله –عزّ وجل– مع إبراهيم –عليه السلام– ما جاء في قوله: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ *وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ *إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ *وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (البقرة124–132).

يبدو من الآيات السابقة أنّ الحوار أظهر بعض الصفات النفسية لإبراهيم عليه السلام؛ ففي الآية الأولى تبدو لنا صفتان من صفاته؛ الأولى: صفة الإيمان بالله عزّ وجل وطاعته فيما أمر من خلال نجاح إبراهيم باختبار الله عزّ وجلّ له، والثانية: صفة الحرص على حسن أخلاق أبنائه، وهذا يظهر حبّه لهم؛ لهذا دعا الله لهم بأن يكونوا قدوة صالحة للنّاس، وهذا لن يكون إلا في صلاحهم.

وظهر إبراهيم في الآية الثالثة حريصًا على حبّه لأبنائه وللذين يعيشون إلى جوارهم في مكة، ولا سيما المؤمنون منهم، وذلك من خلال طلبه من الله أن يجعل مكّة المكرمة آمنة، وأن يوفر الرزق لأهلها. وفي الآية الرابعة والخامسة والسادسة تظهر صفات الطاعة والانقياد إلى الله تعالى والحرص على مرضاته عزّ وجلّ، والتأكيد على حبّ الخير لأبنائه عليه السلام من خلال تكرار الطلب من الله أن يجعلهم صالحين. وفي الآية قبل الأخيرة اعتراف صريح من إبراهيم لربّه جلّ وعلا بالإيمان والطاعة والانقياد.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" (إبراهيم37). وهنا تبدو صفة الحبّ للأبناء والحرص على الإتيان بالخير لهم.

ومنه أيضًا في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (البقرة126). ويبدو هنا حبّ إبراهيم الخير لمكّة المكرّمة ولكلّ من يقطن فيها.

وحرصه على الإيمان بالله يبدو من الحوار في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ *رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (إبراهيم35–

36). فنعمة الأمن نعمة ماسة بالإنسان، عظيمة الوقع في حسه، متعلقة بحرصه على نفسه. وقد استجاب الله دعاء إبراهيم –عليه السلام– فجعل البلد آمنا. (قطب، 2003، ص: 2109). "ومن عصاني فإنك غفور رحيم": وهنا تبدو سمة إبراهيم العطوف الأواه الحليم؛ فهو لا يطلب الهلاك لمن يعصيه من نسله ويحيد عن طريقة، ولا يستعجل لهم العذاب، بل لا يذكر العذاب، إنما يكلهم إلى غفران الله ورحمته. ويلقي على الجو ظلال المغفرة والرحمة". (قطب، 2 003، ص: 2109). "فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم": وفي هذا التعبير رقة ورفرفة، تصور القلوب رفافة مجنحة، وهي تهوي إلى ذلك البيت وأهله في ذلك الوادي الجديب. إنّه تعبير يندي الجدب برقة القلوب".(قطب، 2003، ص: 2109). "ولا يفوتنا أن نلمح تكرار إبراهيم –عليه السلام– في كل فقرة من فقرات دعائه الخاشع المنيب لكلمة "ربنا" أو "ربِّ". فإنّ لهجان لسانه بذكر ربوبية الله له ولبنيه من بعده ذات مغزى. إنّه لا يذكر الله –سبحانه– بصفة الألوهية، إنما يذكره بصفة الربوبيّة. فالألوهية قلما كانت موضع جدال في معظم الجاهليات ... إنما الذي كان دائمًا موضع جدل هو قضية الربوبية. قضية الدنيوية في واقع الحياة الأرضية". (قطب، 2003، ص: 2111).

وهذا الصفة يؤكدها الحوار في قوله تعالى: "رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ *رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ" (40–41). وكذلك صفة اليقين بقدرة الله عز وجل في حواه مع الله عزّ وجلّ في قوله تبارك وتعالى: "رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ" (إبراهيم38).

وثمّة صفة نستطيع استخلاصها من حوار إبراهيم مع الله عزّ وجل في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (البقرة260) وهي صفة الحرص على الوصول إلى مرتبة عين اليقين الذي يزداد به لإيمان ويكمل به الإيقان ويسعى في نيله أولو العرفان. (السعدي، بلا تاريخ، ص:142).

وفيما يخص حوار إبراهيم مع غيره من شخصيّات القصّة فثمّة حواره مع الملائكة في قوله تعالى: "وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ *فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ *وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ *إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ". (هود69–76). وتبدو هنا صفة حرص إبراهيم على مصالح النّاس وعدم إيذائهم. وتتجلّى صفة الكرم من خلال هذا الحوار أيضًا. ومن خلال هذا الحوار يعلم المتلقي الشيخوخة التي بلغها إبراهيم وزوجته، وأنهما من خيرة النّاس عند الله جلّ وعلا.

وحواره عليه السلام مع أبيه وقومه في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ *فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ *إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ *وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ

أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ *وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ" (الأنعام74-83). نستخلص من الحوار في هذه الآيات حسن التفكير الذي يتمتع به إبراهيم، فهذه الصفة قادته إلى معرفة طريق الضلال الذي يتبعه أبوه وقومه، وذلك في الآية الأولى، وفي الآية الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة تبدو لنا صفة التفكير المنطقي والتدريجي الذي امتاز به، فهو لا يفعل شيئا إلا بعد تفكير ورويّة وبعد محاكمة الأمور؛ لهذا نجده يتدرج في البحث عن الإله الذي يستحقّ العبادة، إلى أن يصل إلى أنّه الذي فطر السموات والأرض، فهذا هو الإله الذي يستحقّ العبادة، أمّا غيره فهي مخلوقات. وفي الآيات التالية تبدو عبقريّة إبراهيم الحوارية وقدرته على إفحام الخصوم.

وهذه الصفات نجدها أيضا في حواره مع أبيه في قوله تعالى: " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا *يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا *يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا *قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا *وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا" (مريم41-49).

ونرى صفتا الذكاء وقوّة الإقناع وإفحام الخصم في أبرز صورها في هذه القصة في الحوار في قوله تعالى: "وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصنامَكُم بَعدَ أَن تُوَلّوا مُدبِرينَ*فَجَعَلَهُم جُذاذًا إِلّا كَبيرًا لَهُم لَعَلَّهُم إِلَيهِ يَرجِعونَ*قالوا مَن فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمينَ*قالوا سَمِعنا فَتًى يَذكُرُهُم يُقالُ لَهُ إِبراهيمُ*قالوا فَأتوا بِهِ عَلى أَعيُنِ النّاسِ لَعَلَّهُم يَشهَدونَ*قالوا أَأَنتَ فَعَلتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبراهيمُ*قالَ بَل فَعَلَهُ كَبيرُهُم هذا فَاسأَلوهُم إِن كانوا يَنطِقونَ*فَرَجَعوا إِلى أَنفُسِهِم فَقالوا إِنَّكُم أَنتُمُ الظّالِمونَ*ثُمَّ نُكِسوا عَلى رُءوسِهِم لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ*قالَ أَفَتَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَنفَعُكُم شَيئًا وَلا يَضُرُّكُم*أُفٍّ لَكُم وَلِما تَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ أَفَلا تَعقِلونَ*قالوا حَرِّقوهُ وَانصُروا آلِهَتَكُم إِن كُنتُم فاعِلينَ*قُلنا يا نارُ كوني بَردًا وَسَلامًا عَلى إِبراهيمَ". (الأنبياء57-69). وفي قوله تعالى: "سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ *إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ *ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ *وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ *إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ *فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ *فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ *فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ *فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ *فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ *فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ *فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ *قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ *وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ" (الصافات79-98).

يبدو لنا من الحوار أننا أمام إنسان ذكي فطن مثقف مخطط بارع محاور مفحم لخصومه محبّ للخير للنّاس يسعى بكلّ ما أوتي من ذكاء وفطنة وثقافة إلى أخذهم نحو الطريق القويم الذي أمره الله -جلّ وعلا- به.

وثمّة صفة نادرة تجلّت في إبراهيم -عليه السلام- في الإيمان المطلق بالله عزّ وجلّ من خلال الامتثال الكامل لأوامره، وذلك في حواره مع ابنه في قوله تعالى: "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ *وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ *قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ *وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ *وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ *سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ *كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ *إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ *وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ *وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ" (الصافات 102-113).

انتصر الإيمان الكامل في هذا الحوار على عظم حب الإنسان لفلذة كبده؛ فنحن إذن أمام إيمان عظيم بالله عزّ وجلّ، يمنع صاحبه مخالفة أوامر الله مهما عظمت التضحيات.

وفي حوار إبراهيم مع تمرود في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ". (البقرة258) تبدو لنا صفة الذكاء وسرعة البديهة مع العلم والقدرة على محاورة الخصم والتفوق عليه. وهذه الصفة الأخيرة برزت في غير حوار من حوارات إبراهيم عليه السلام مع خصومه في القرآن الكريم.

وفيما يخص دور الحوار الخارجي في بناء الشخصيات الأخرى فإنّ من الحوار في (سورة البقرة127–128) يقدّم للمتلقي إيمان إسماعيل برّبه من جهة، وبرّه بوالده من جهة أخرى، وذلك من خلال وقوفه إلى جانب أبيه ومساعدته له في بناء البيت الحرام، ومشاركته أبيه في دعاء الله تعالى كي يتقبّل منهما هذا العمل. وهاتان الصفتان يؤكدهما الحوار في (سورة الصافات 102) التي تجلّت فيها أعلى درجات طاعة الله وبرّ الوالد.

ويقدّم الحوار في (سورة هود69–76) بعض صفات الملائكة، وقد تجلّت في هاتين الآيتين بأنّها مخلوقات تستطيع أن تتشكّل بشكل إنسان، وأنها لا تأكل الطعام، ويفعلون ما أمرهم الله به، وأنّ إهلاك الأمم الضالة إحدى الوظائف الموكلة إليهم من الله عزّ وجلّ.

أمّا الحوار في (سورة الممتحنة4–5) فإنه يقدّم صفة الضلال لدى آزر، والإصرار على هذا الضلال رغم الأدلة والبراهين التي عرضها له ابنه إبراهيم عليه السلام. ويؤكد هذه الصفة لديه الحوار في (سورة الأنعام74–83)، ويبيّن أن هذه صفة قومه أيضا؛ فقد كانوا يعبدون الأصنام ويصرّون على امتناعهم عن الإيمان بالله تعالى وعبادته. ويبيّن الحوار في (سورة الأنبياء57–69) شدّة قسوة قلوب قوم إبراهيم، وذلك حين قرروا حرقه بالنار.

ويعد الوصف إحدى أساليب بناء الشخصيات في القصة، واستخدام الوصف كوسيلة لتقديم الشخصية يختلف من كاتب لآخر، وقد يختلف عند الكاتب نفسه من شخصية لأخرى. فمنهم "من يقدم شخصياته بفقرة تصف بالتفصيل المظهر الجسدي، وبفقرة أخرى الطبيعة الخلقية والنفسية" (ويليك وآخرون، 1981، ص: 229) ، ومنهم من يداخل بين الوصف المادي والوصف الخُلُقي والنفسي في الفقرة نفسها. وقد يلجأ الكاتب إلى هذين النوعين من الوصف في القصة ذاتها. (الأحمد، 2021، ص: 84).

وثمّة نوعان لتقديم الشخصيات من خلال الوصف؛ "مباشرة وغير مباشرة، في الأولى يأتي وصف الشخصية جاهزًا للقارئ من دون أن يحتاج إلى أي تفكير، أما في الثانية فيحتاج القارئ إلى إعمال الذهن لاستخلاص بعض الصفات".. (الأحمد، مكونات السرد وتقنياته في روايات خيري الذهبي، (عنوان الصفات المادية).

وفيما يخصّ دور الوصف في بناء الشخصيات في قصة إبراهيم –عليه السلام– فقد ذكر بعض صفات الشخصيات. ففي قوله تعالى: "وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" (البقرة 130) تبدو صفة الصلاح لإبراهيم عليه السلام. وفي قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ *ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (آل عمران33–34) تبدو صفة الاصطفاء لإبراهيم من خلال اختيار الله عز وجلّ له من الصفوة. وفي قوله تعالى: "وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" (النساء125) تبدو صفة الصداقة التي يمتاز بها إبراهيم عليه السلام. وفي قوله تعالى: " قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " (آل عمران95) صفة الإيمان

والبعد عن الشرك. وكذلك في قوله تعالى: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران67). والقلب السليم في قوله تعالى: "وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ *إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الصافات83-84). وصفة الحكمة والنبوة في قوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ وَالحُكمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكفُر بِها هؤُلاءِ فَقَد وَكَّلنا بِها قَومًا لَيسوا بِها بِكافِرينَ". (الأنعام89). وصفة المسؤولية التي منحه الله إياها في قوله تعالى: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (البقرة25).

وبدا إبراهيم بارًا بوالده، لكنّ هذا البرّ انقطع حين بقي الأب على ضلاله، وهنا فاقت صفة الانقياد لله صفة برّ الوالد وذلك في قوله تعالى: "وَما كانَ استِغفارُ إبراهيمَ لِأَبيهِ إلّا عَن مَوعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنهُ إِنَّ إبراهيمَ لَأَوّاهٌ حَليمٌ". (التوبة114). وفي قوله تعالى: "إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ". (الممتحنة4). "لا لقاء في دنيا أو في آخرة بين أصحاب الجنة وأصحاب الجحيم. وقربى الدم والنسب إذن لا تنشئ رابطة، ولا تصلح وشيجة بين أصحاب الجنة وأصحاب الجحيم.... وولاء المؤمن يجب أن يكون لله الذي عقد معه تلك الصفقة، وعلى أساس هذا الولاء الموحد تقوم كل رابطة وكل وشيجة –وهذا بيان من الله للمؤمنين يحسم كل شبهة ويعصم من كل ضلالة– وحسب المؤمنين ولا ية لهم ونصرته؛ فهم في غنى عن كل ما عاده، وهو مالك الملك ولا قدرة لأحد سواه". (قطب، 2003، ص: 1714).

وبرزت صفة الوفاء في قوله تعالى: " أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى *وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى *أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى *أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى *وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى" (النجم33-37) وفي قوله تعالى: "وإبراهيم الذي وفى"، وهو مقام عظيم ذلك المقام الذي بلغه إبراهيم. مقام الوفاء والتوفية بشهادة الله عز وجلّ. والإنسان بضعفه وقصوره لا يوفي ولا يستقيم. عندئذ استحق إبراهيم تلك البشرى أو تلك الثقة" (قطب، 2003، ص: 112). وصفة أبي الأنبياء تجلّت في قوله تعالى: "وَتِلكَ حُجَّتُنا آتَيناها إبراهيمَ عَلى قَومِهِ نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ*وَوَهَبنا لَهُ إسحاقَ وَيَعقوبَ كُلًّا هَدَينا وَنوحًا هَدَينا مِن قَبلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ داوودَ وَسُلَيمانَ وَأَيّوبَ وَيوسُفَ وَموسى وَهارونَ وَكَذلِكَ نَجزِي المُحسِنينَ*وَزَكَرِيّا وَيَحيى وَعيسى وَإِلياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحينَ*وَإِسماعيلَ وَاليَسَعَ وَيونُسَ وَلوطًا وَكُلًّا فَضَّلنا عَلَى العالَمينَ". (الأنعام83-86).

أمّا الشخصيات الأخرى فبدا إسماعيل عليه السلام مطيعًا لله عزّ وجلّ– في قوله تعالى: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (البقرة125)، وفي قوله تعالى: "قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" البقرة136).

أمّا زوجة إبراهيم –عليه السلام– فبدت راضية بما سيحلّ بقوم لوط من عقاب، وذلك في قوله تعالى: "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (هود71).

وبدا إسحق نبيًّا في قوله تعالى: "وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ *وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ" (الصافات112-113). وبدا إيمان لوط عليه السلام في قوله: "فَآمَنَ لَهُ لُوط" (العنكبوت 26).

ويلحظ المتلقي أنّ القرآن في بناء الشخصيات في قصة إبراهيم –عليه السلام– قد اعتمد اعتمادًا رئيسًا على ذكر الصفات النفسية لأهميتها في بلوغ الهدف الذي أقامه لهذه الشخصيات في القصة؛ فتسليط الضوء على الواقع الاجتماعي لهذه الشخصيات وإظهار مدى إيمانها بالله أو عدم إيمانها به يتوجب إظهار الصفات النفسية لها. ولم يكن للصفات المادية أهمية في الوصول إلى الهدف الإيماني؛ لذلك اقتصر القرآن على الصفات النفسية دون الجسدية.

وجاءت معظم الصفات النفسية من خلال وصفها من قبل الرواي العالم بكل شيء، وهو هنا الله جلّ وعلا. وأُفسح لبعضها المجال للحديث عن نفسها، مما أظهر بعض صفاتها، وهذا يتناسب مع الوضع الأخلاقي لهذه الشخصيات للإعلان عما في داخلها.

ويبدو جليًّا التركيز على شخصية (إبراهيم) وإسباغ الصفات التي تتناسب مع هذه الشخصية، ولا سيما الصفات الأخلاقية الإيجابية، فتبدو الثقافة الدينية لهذه الشخصية ثرّة، فهو يزن كل ما يقوم به من أفعال، وما يفكر فيه، وما يصدر عنه من أقوال متّسقًا مع وظيفة النبوّة التي كلّفه الله بها.

5. دور اللغة في بناء الشخصيات

ثمّة فرق بين لغة الراوي حين يقدّم الشخصيّات في القصة، وبين لغة الشخصيّات حين يفسح لها الراوي بأن تقدّم نفسها، وهذه الأخيرة تنقسم قسمين: الأوّل أن يتركها الراوي تعبّر عن نفسها بكلماتها هي، والثاني: أن يصيغ الراوي كلامها بلغته الخاصّة؛ فعندما ينقل الراوي كلامًا عن شخصيّات القصة فإنه سينقلها بلغته، وربما سيجري عليها تعديلات تتضمن الاختصار والاختيار وتغيير اللهجة من حيث حدتها أو لينها.

وفيما يخصّ قصّة إبراهيم –عليه السلام– فإنّ اللغة التي قدّمت شخصيّاتها هي كلام الله –جلّ وعلا– الذي برزت البلاغة فيه في أعلى مراتبها وأسمى صورها. ويمكننا التوقف عند بعض الألفاظ والعبارات التي وُظّفت في تقديم الشخصيّات في هذه القصّة للاطّلاع على فصاحتها، ومتانة نظمها، ودقّة تعبيرها، واستيفائها للمعاني.

إن كلمة (اصْطَفَيْنَاهُ) في قوله تعالى "وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" (البقرة130) تعبّر عن سمو صفات إبراهيم –عليه السلام– ورقيها وعظمها، فنجد أنفسنا أمام إنسان عظيم ليس كغيره من البشر بما امتاز به من إيمان عظيم بالله –عزّ وجلّ–، وقد ترافق هذا الإيمان بأرقى صفات البشر التي تليق بهذا الإيمان العظيم، ولكلٍّ منّا أن يتخيّل من هذا الصفات الإيجابية ما يريد، ولا سيما الصدق والإخلاص والتضحية وطاعة الله عزّ وجلّ.

إنّ هذا الاصطفاء كان نتيجة لاختبار الله عزّ وجلّ له في قوله تعالى: "إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ" (البقرة131) فلم يتلكّأ، ولم يرتب، ولم ينحرف، واستجاب فور تلقي الأمر، "قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"(البقرة131). (قطب، 2003، ص: 114).

وكلمة " حَنِيفًا" في قوله تعالى "وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (البقرة 135) تتوهج من بين حروفها عدّة صفات لإبراهيم –عليه السلام–، فيبدو للمتلقي أنّه مقبل على الله، معرض عما سواه، قائم بالتوحيد، تارك للشرك والتنديد. (السعدي، بلا تاريخ، 58). ويتبدّى لنا رجل مستقيم اختار لحياته منهاج الله تعالى وطريقه القويم، ودينه الحقّ.

وتتوهج حروف لفظة "أَبَتِ" معاني عظيمة للطف الذي امتاز به إبراهيم –عليه السلام– في تعامله مع والده، وتبرز هذه المعاني في أرقى صورها في تكراره هذه اللفظة على مسامع والده وهو يدعوه إلى عبادة الله عزّ وجل في قوه تعالى: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا *يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا *يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا" (مريم41–45). وتبدو في هذه اللفظة لطف إبراهيم ووداعته وحلمه، و"بهذا اللطف في الخطاب يتوجه إبراهيم إلى أبيه، يحاول أن يهديه إلى الخير الذي

هداه الله إليه، وعلمه إياه؛ وهو يتحبب إليه فيخاطبه: "يا أبت"... ولكن هذه الدعوة اللطيفة بأحب الألفاظ وأرقها لا تصل إلى القلب المشرك القاسي" (قطب، 2003، ص: 2311-2312).

ولفظة "فَبُهِتَ" في قوله تعالى: "قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ" (البقرة258) تُشعُ من بين حروفها ضعف الباطل المتمثّل بالنمرود أمام قوّة الحق المتمثّل بإبراهيم -عليه السلام. لقد أبرز الحوار بينهما انتصار الحقّ على الباطل المتجبر العنيد الذي يظنّ نفسه أنّه المتحكم والغالب بجبروته وتسلّطه على الخلق، فإذا به فجأة يكتشف ضعفه أمام قدرة الله -عزّ وجلّ-، فيتجمّد ويذهل ويتوقف لسانه عن الكلام، فيُهزم. وفاء العطف هنا التي تعني الترتيب والتعقيب توحي للمتلقي بسرعة وقوع الذهول عليه بعد تحدّي إبراهيم -عليه السلام- له.

ويعبّر إبراهيم بقوله "لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي" في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي" (البقرة260) عن الرغبة في الوصول إلى أعلى مراتب الإيمان، ويبرز من هذه العبارة "التشوف إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية. وحين يجيء هذا التشوف من إبراهيم الأواه الحليم، المؤمن الراضي الخاشع العابد القريب الخليل. حين يأتي هذا التشوف من إبراهيم فإنه يكشف عما يختلج أحيانًا من الشوق والتطلع لرؤية الصنعة الإلهية في قلوب أقرب المقربين. إنه تشوف لا يتعلّق بوجود الإيمان وثباته وكماله واستقراره؛ وليس طلبًا للبرهان أو تقوية للإيمان، إنما هو أمر آخر، له مذاق آخر، إنه أمر الشوق الروحي إلى ملابسة السر الإلهي في أثناء وقوعه العملي. ومذاق هذه التجربة في الكيان البشري مذاق آخر غير مذاق الإيمان بالغيب ولو كان هو إيمان إبراهيم الخليل الذي يقول لربه، ويقول له ربه. وليس وراء هذا إيمان، ولا برهان للإيمان، ولكنه أراد أن يرى يد القدرة وهي تعمل؛ ليحصل على مذاق هذه الملابسة فيستروح بها، ويتنفس في جوّها، ويعيش معها. (قطب، 2003، ص: 302).

ونلمح في قول إبراهيم: "أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ" في قوله تعالى: "وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ" (الأنعام80) وصول إبراهيم إلى أعلى درجات اليقين بالله عزّ وجلّ؛ وتلمح أيضًا شدّة استنكاره لمجادلتهم إياه، وهذا يعني أنّ صفة الإيمان بالله -عزّ وجلّ- واضحة جليّة راسخة فيه عليه السلام.

وقوله تعالى: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (البقرة127-129). إنّ الله عزّ وجلّ يرسم أمامنا في هذه الآيات مشهد تنفيذ إبراهيم وإسماعيل للأمر الذي تلقياه ...، ويكشف لنا عنهما، ويرينا إياهما، كما لو كانت رؤية العين لا رؤيا الخيال. إنهما أمامنا حاضران، نكاد نسمع صوتيهما يبتهلان: ربنا تقبل منّا ... فنغمة الدعاء، وموسيقى الدعاء، وجو الدعاء كلها حاضرة كأنها تقع اللحظة حيّة شاخصة متحرّكة، وتلك إحدى خصائص التعبير القرآني الجميل ... إنها خصيصة التصوير الفني بمعناه الصادق، اللائق بالكتاب الخالد" (قطب، 2003، ص: 114). وتكرار كلمة (ربّنا) دليل على صفة العبوديّة التي امتاز به إبراهيم عليه والسلام وابنه إسماعيل في هذه القصّة.

ونحن نلمح في قول زوجة إبراهيم عليه السلام "يا ويلتى" في قوله تعالى: "قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ" (هود73) صفة أنثويّة بارزة؛ فالنساء عامّة يعبّرن عن تعجبهنّ بكلمات تخرج بسرعة من افواهن حين يتعجبنّ من أمر أو يندهشنَ. إنّ القرآن يرسم أمامنا صورة لامرأة من لحم ودم كأنّها ماثلة أمامنا نراها ونسمعها وهي تنطق بهذه الكلمة مستغربة من بشارة الملائكة لها، وهذا يسهم في أمرين معًا: تقديم هذه المرأة للمتلقي، وشدّ مسامعه لمتابعة أحداث القصّة، وبالتالي الوصول إلى الهدف من سردها، وهو الدعوة إلى الله تعالى

الخاتمة

وظّف القرآن في قصّة إبراهيم –عليه السّلام– شخصيّات واقعية استحضرها من تاريخ الإنسانية، وصاغها بمستوى عال من البراعة والإحكام والجمال، وتجلّى هذا في قدرتها على قيام كلّ منها بالدور المنوط بها في القصّة على أكمل وجه.

ويبدو للمتلقي مدى الإتقان في بناء هذه الشخصيات، ويتمثل هذا الإتقان في نسج بنائها والاكتفاء بما يوصل إلى الهدف، وتحريك الشخصيات بمهارة عالية وخطوات دقيقة. وهذا متوقع لأن الله عزّ وجل هو الخالق المحرك لهذه الشخصيات في الحياة التي عاشتها في الواقع، وهو الذي رسمها وصورّها في القرآن على نحو يتسق مع حياتها، ويخدم الهدف في إيصال فكرة الصراع بين الخير والشر، بين الإيمان والكفر، وإظهار قوّة الإيمان، والطريق الصحيح التي ينبغي على الإنسان أن يتبعه في الحياة كي يحيا حياة سليمة صحيحة تتسق مع الغاية التي خلقه الله تعالى من أجلها. فأُخرجت من لدن حكيم عليم غاية في الروعة والدقة والجمال.

إنّ اهتمام القرآن الكريم الكبير بالجانب النفسي في بناء شخصيات قصة إبراهيم عليه السلام لا يعني إهمال الجانب المادي في بنائها، بل هو اهتمام مقصود من ناحيتين، الأولى: رغبة القرآن في تسليط الضوء على الجانب الخُلقي المتعلق بالإيمان والتوحيد لهذه الشخصيات، والثانية: إعطاء الفرصة للمتلقي للمشاركة في بناء هذه الشخصيات على نحو إيجابي وفق ما ذكره القرآن، والتأثّر الإيجابي بهذه الشخصيات.

استخدم القرآن في بناء الشخصيّات لغة سهلة واضحة قريبة من أفهام الناس، فلا يحتاج المتلقي كبير عناء لفهم الكلمات التي استخدامها القرآن في بناء هذه الشخصيات. وهو ما يسهّل بلوغ الهدف الذي تمّ سرد هذه القصة القرآنية من أجله، والمتمثل بالدعوة إلى عبادة الله –جلّ وعلا– خالق الكون، وترك عبادة المخلوقات.

المراجع

القرآن الكريم.

الأحمد، محمد. (2021). *مكونات السرد وتقنياته في روايات خيري الذهبي*، إسطنبول: كتابي.

الأحمد، محمد. (2019). *البنية الفنية في قصة يوسف عليه السلام*، مجلة كلية الإلهيات في جامعة جومشخانة، المجلد 8، العدد 15، 154–731.

الأحمد، محمد. (2016). *البناء الفني للشخصيات وأبعادها الاجتماعية والنفسية في رواية يوم قتل الزعيم للروائي نجيب محفوظ*، مجلة إلهيات تدقيقلاري، العدد45، 233–259.

إسماعيل، عز الدين. (1976). *الأدب وفنونه دراسة ونقد* (الطبعة السادسة)، القاهرة: دار الفكر العربي.

بحرواي، حسن. (1990). *بنية الشكل الروائي*، بيروت: المركز الثقافي العربي.

تركي، محمد. (2020). *بناء الشّخصيّات وأبعادها الاجتماعيّة والنّفسيّة في رواية حمامات بيض ونارجيلة لأحمد زياد محبّك*، مجلة كليّة الإلهيّات في جامعة جوكوروفا، المجلّد 20، العدد 1، 304–326.

حطيني، يوسف. (1999). *مكونات السرد في الرواية الفلسطينية*، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

الخطيب، عبد الكريم. (1975). *القصص القرآني في منطوقه ومفهومه*، (الطبعة الثانية)، بيروت: دار المعرفة.

خورشيد، فاروق. (1982). *الرواية العربية . عصر التجميع*، (الطبعة الثالثة)، القاهرة: دار الشروق.

رشدي، رشاد. (1964). *فن القصة* (الطبعة الثانية)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

رشيد، محيي الدين. (2023). *دراسة نقدية لديوان الشاعر الصوفي الأندلسي أبي الحسن الششتري*، أنقرة: سون جاغ.

السعدي، عبد الرحمن. (بلا تاريخ). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان*، (تح: عبد الرحمن اللويحق) بيروت: مؤسسة الرسالة.

الشبلي، إبراهيم (2019). *الذات والآخر في الرواية السورية*، عمَّان: دار فضاءات للنشر.

شريبط أحمد، شريبط. (1998). *تطوّر البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947–1985*، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

عبد السلام، فاتح. (1999). الحوار القصصي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الصالح، نضال. (2001). *النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة*، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

الفيصل، سمر روحي. (1995). *بناء الرواية العربية السورية*، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

القطان، مناع. (2000). *مباحث في قصص القرآن* (الطبعة الثالثة)، الرياض: مكتبة دار المعارف للنشر والتوزيع.

قطب، سيد. (2002). *التصوير الفني في القرآن* (الطبعة السادسة عشرة)، القاهرة: دار الشروق.

قطب، سيد. (2003). *في ظلال القرآن* (الطبعة الثانية والثلاثون)، القاهرة: دار الشروق.

لحمداني، حميد. (1991). *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*، بيروت: المركز الثقافي العربي.

مكي، الطاهر أحمد. (1999). *القصة القصيرة دراسة ومختارات* (الطبعة الثامنة)، القاهرة: دار المعارف.

الموسى، خليل. (2006). *ملامح الرواية العربية السورية*، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

هلال، محمد غنيمي. (1987). *النقد الأدبي الحديث*، بيروت: دار العودة.

ويلك، رونيه، وأوستن وارين. (1981). *نظرية الأدب*، (ترجمة: م صبحي)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

Kur'an-ı Kerim.

Alahmad, Mohamad. (2021). *Hayri Zehebi'nin Romanlarinda Anlatim Unsurlari Ve Teknikleri*, İstanbul: Kitabı.

Alahmad, Mohamad. (2019). el-Bunye el-Fenniyye Fi Kissati Yusuf Aleyhi's-Selâm. *Gümüşhane Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, 8*(15), 154-173.

Alahmad, Mohamad. (2016). Necip Mahfuz'un "Başkan'ın Öldürüldüğü Gün" Adlı Romanındaki Karakterlerin Sanatsal Yapısı, Toplumsal Ve Psikolojik Boyutları, *İlahiyat Tetkikleri Dergisi,* 45.

İsmail, İzzu'd-Din. (1976). e'l-Adep ve Fununihi Dirâse ve Nekd (6.Baskı), Kahire: Daru'l-Fikri'l-Arabî.

Bahravî, Hasan. (1990). *Bünyetu'ş-Şekli'r-Rivâî*. Beyrut: El-Merkezu's-Sekâfiyyu'l-Arabî, 1990.

Turkey, Mohamad. (2020). Ahmed Ziyâd Muhabbik'in "Beyaz Dişi Güvercinler ve Nargile" Adlı Romanındaki Karakterlerin Yapısı ve Sosyal ve Psikolojik Boyutları *Çukurova Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, 20*(1), 304-326.

Hittinî, Yusuf. *Mukevvinâtu's-Serd fî e'r-Rivâyâti'l-Filistîniyye*, Dimaşk: Menşurâtu İttihadi'l-Küttabi'l-'Arab,
Hatib, Abdu'l-Karim. (1975). *el-Kasasu'l-Kur'ani fî Menzûmihi ve Mefhûmihi* (2.Baskı), Beyrut: Dâru'l-Marife.
Horşid, Fâruk. (1982). *e'r-Rivâya'l-Arabiyya Asru't-Tecmi* (3.Baskı), Kahire: Daru'ş- Şurûk.
Rachıd, Mahıeddın. (2023). *Endülüslü Sûfi Şair Ebu'l-Hasan Eş-Şüşterî Ve Divânı Eleştirel İnceleme,* Ankara: Sonçağ.
Ruşdî, Reşâd. (1964). *Fennu'l-Kıssa* (2.Baskı), Kahire: Mektebetu'l-Anglu'l-Amrikiyye.
Şublî, İbrahim. *ez-Zât ve'l-Âhar Fî'r-Rivâyeti's-Suriyye*, Amman: Dâr Fadâât lin-Neşr.
Şuraybit Ahmed, Şuraybit. (1998). *Tetavvuru'l-Binyeti'l-Fenniyeti fî'l-Kıssati'l-Cazâiriyyeti'l-Muâsıra 1947-1985*, Dımeşk: Menşurâtu İttihadi'l-küttabi'l-'arab.
Abdusselam, Fatih. (1999). *el-Hıvâru'l-kısasiyyu* (1.Baskı), Beyrut: el-Muessesetu'l-'Arabiyyeli'd-Dirâsâti ve'n-Neşr.
Sâlih, Nidâl. (2001). *en-Nuzû'u'l-Ustûrîfî'r-Rivâyeti'l-'Arabiyyeti'l-Mu'âsıra* (1.Baskı), Dimaşk: Menşurâtu İttihadi'l-Küttabi'l-'Arab.
Faysal, Semer Ruhi. (1995). *Bina'u'r-Rivayeti'l-'Arabiyyeti's-Sûriyye*, Dimaşk: Menşurâtu İttihadi'l-Küttabi'l-'Arab.
Kattân, Mennâ. (2000). *Mebâhis fî Kısasi'l- Kur'an* (3.Baskı), Riyad: Mektebetu Dâri'l-Maârif lin-Neşri ve't-Tevzia.
Kutb, Seyyid. (2002). *Fî Zilali'l-Kur'anı* (16.Baskı). Kahire: Daru'ş-Şurûk.
Kutb, Seyyid. (2003). *et-Tasviru'l-Fennî Fî'l-Kur'an* (32.Baskı). Kahire: Daru'ş- Şurûk.
LHamdânî, Hamîd. Bunyetu'n-Nassi's-Serdiyyi min Menzûri'n-Nakdi'l-edebî (1.Baskı), el-Merkezü's-sekâfiyyi'l-arabî, Beyrut, 1991.
Mekkî, e't-Tâhir Ahmed. (1999). *e'l-kıssa e'l-kasira Sirâse ve Muhtârât* (8.Baskı), Kahire: Daru'l- Maârif.
Musa, Halil. (2006). *Melâmihu'r-Rivâyetu'l-Arabiyyati'l-Suriyye*, Dımaşk: Menşurâtu İttihadi'l-küttabi'l-'Arab.
Hilâl, Muhammed Ğuneymî. (1987). *e'n-Nekdu'l-Edebîi'l-Hadîs*, Beyrut: Deru'l-Avda.
Volkswagen, Ronnie, Osteen Wearen. (1981). *Nezariyyetu'l-Edep*, (Tercemetu. Muhyiddin Subhî), Beyrut: el-Muessesetu'l-'Arabiyyeli'd-Dırâsâti ve'n-Neşr.